رابط المادة على منصة باحث

متفرقات

الإلحاد في ظلال الموت.. قصة في المقبرة هزتني

سامي عامري

كلمات قرأتها منذ سنوات في كتاب للدكتور عماد الدين خليل. ونقلتها في هذا الكتاب واقرأها عليكم. يقول في كتابه وماذا بعد الموت الح علي السؤال وانا اشهد في مقبرة قصية خارج المدينة مواراة التراب على اربع جثث لعائلة - 00:00:00

واحدة اغتالتها يد اثيمة في منتصف ليلة سوداء واختفت عن الانظار. واذ كنت واذ كانت جثث الموتى قادمة من مدينة اخرى غير مدينتنا في صناديق اكبر حجما لم يألفها حفار قبورنا فقد اضطرهم ذلك الى - 00:00:20

بذل جهد اضافي استغرق اكثر من ساعتين لتوسيع الحفر كي تصلح لالتقام الصناديق الاربع ودخل الليل وكانت الريح المغبرة تسفي كآبة وشحوبا. انا اريدكم ان تعيشوا معي ومع الدكتور عماد الدين خليل الكاتب العراقي المعروف. اريدكم ان تعيشوا معي هذه اللحظات. ان تكونوا مكانه وتشعروا شعوره وتتنفس تلك - 00:00:40

التي تحيط به ودخل الليل وكانت الرياح المغبرة تسفي كآبة وشحوبا. وعندما غادرنا فكان مخلفين القبور الاربعة الطرية وحدها في الصحراء المطربة التفت ورائي. عبر زجاج ادركت معنا ان يبقى الانسان وحده جثة مغروزة في رمال الصحراء. والح علي السؤال ما - 00:01:10

ماذا بعد الموت؟ في هذا الموقف العاطفي يتحرك العقل يهتز الوجدان تنطلق الروح الى عوالم اخرى اكبر من الدائرة الضيقة التي يعيش فيها الانسان في مكتبه بين الكتب والمقالات الاكاديمية يناقش قضية تتعلق - 00:01:40

باصل الوجود ومآل الوجود ومعنى الحياء. والح علي السؤال ماذا بعد الموت؟ ان يسأل الانسان نفسه وهو جالس في بيته بين اهله واطفاله يأكل طعاما لذيذا او يشاهد برنامج مسليا او يستلقي مرتاحا على سريره الدافئ. او يتبادل الحوار الشيق مع اصدقائه في ناد او مقهى - 00:02:00

ومن حولهم تتمخض حركة الحياة الدائمة عن الامل والبلادة والمتعة والنسيان. ليس كمن يسأل نفسه ذاك الذي يعيش في تلك الاجواء الناعمة الرخوة السهلة المعتادة الرتيبة. ذاك عقل يفكر بمنطق - 00:02:30

يختلف عن العقل الذي يفكر. يقول ليس كمن يسأل نفسه وهو يلتفت فجأة في اعماق الظلام. الى قبر من جديد وحيد نبت قبل دقائق في قلب الصحراء وغادره اقرب اصدقائه واشد محبيه. هذا - 00:02:50

قلب هذا العقل الذي يتدبر يفكر يحس يتوهج. يهتز يتشظى. يسيل يتبخر هذا القلب الذي يتفاعل مع تلك اللحظة الحارة الشديدة. وهو ينظر الى الخلف ينظر الى جثة وراءه. مغروزة في الرمال. ترى لو ان دينا من السماء لم - 00:03:10

ينزل ودخل في عقول الناس على مدار التاريخ خرافة الملحدين والعدميين. من انه لا حياة بعد هذه الموت لا بعثا ولا حسابا ولا جزاء. وان نهاية الانسان المطلقة تجيء عندما يسكت قلبه عن الخفقان - 00:03:40

ويوارى التراب لكي ما يلبث ان يأكله الدود ويتحول بعد قليل الى تراب يستعد لاستقبال الحفلات الجديدة من التراب الذي لا يكف عن الانقطاع. لو حدث وان تحقق هذا هذا هو التصور العدمي. التصور - 00:04:00

الالحادية تصور عدمي يعدم قيمة الحياة. يعدم قيمة ما بعد الحياة. يعدم قيمة ما قبل الحياة الانسان يعيش واقعا هدريا. الحياة الكون ليس الا طاقة ومادة يسبحان بغير حكمة ولا هدف ولا مبدأ معقول. لو حدث وان تحقق هذا ماذا سيكون شعور الانسان - 00:04:20

وهو يقف في المقبرة يشهد دفن صديق او قريب. ماذا سيكون شعوره؟ وهو يلتفت بعد دقائق الى الجثة المواراة وقد خنقها التراب

وتركت وحدها في الصحراء. ان اي مسلم لا - 00:04:50
بفترته وبداهته ويقينه وايمانه ان يتصور موقفا عدميا كهذا. انه بمجرد تصوره يحس بالاختناق. ويستنفر كل طاقاته النفسية للخلاص من واستنشاق الهواء الصافي النقي. انه لا يفرق ابدا بين كابوس لا يرحم يدهمه في المنام - 00:05:10
وبين احساس عدمي قاتم يمر بخاطره في المقبرة. ان هذا الجو المهيب في هذه المقبرة حيث الجثث يواريها التراب ثم يأتي عليها الليل فيخيم عليها بظلامه الشديد القاتم هذه الوحشة اذا اضفت اليها معنى ان يقتل الانسان ظلما. معنى ان تقتل عائلة ظلما - 00:05:40
هل تستطيع ان تتصور هذا المعنى العدمي؟ هذه الطاقة والمادة المضطربة التي تأتي وتذهب دون غاية كما يقول ريتشارد دوكنز في كلمته الشهيرة نحن الا لسنا الا الات لانتاج الدي ان ايه الحمض النووي. ثم لا شيء - 00:06:10
هل من الممكن ان تتصور هذا المعنى العدمي القاتم المظلم الداكن الفارغ؟ وانت في مقبرة وقد شهدت دفن جثث اربعة ابرياء. اغتالتهم يد ظالمة حمراء. هل تستطيع ان تتصور هذا المعنى؟ بقلبك باحساسك بوجدانك بعقلك الذي يراه - 00:06:30
هذا الكون العظيم يتمخض عن عدم. اكثر من هذا ان المسلم يستمد من موقف الفراق هذا ثقة اكبر بعقيدته التي منحته الامل الكبير بالبعث والنشور والحساب وبدينه الذي علمه ودائما ان الموت ليس سوى نقلة. نقلة فحسب الى دار اخرى غير هذه الدار. والى حياة - 00:07:00
الاخرى غير هذه الحياة. وهذا المعنى العظيم هو من اهم المعاني التي غفل عنها الذين تناولوا قضية الشر عندما حصروا معنى الوجود في حياة دنيا ضيقة. ثم قالوا ان الوجود لا يشف الا - 00:07:30
عن اللا معنى والعبث لكنهم لم يتفكروا لم ينظروا لم يتصوروا ان تكون هذه حياة مجرد فصل في كتاب اعظم. لو فعلوا ذلك لادركوا ان لهذه الشرور معنى وانها تقع في قصة - 00:07:50
كبرى خاتمتها العدل بافضل معانيه وارقى معانيه والرحمة في ابهى صورها يقول ويتملكه احساس عميق بالرثاء والاحتقار لكل اولئك الذين سعوا الى تزييف الحياة وبترها باعتقادهم ان الانسان يحيا مرة واحدة فحسب. ثم يأكله الدود ويلفه التراب ولا شيء. وراء ذلك - 00:08:10
وما اكثر الذين ذهبوا الى المقابر لتشييع صديق او قريب. وهم لا يملكون ايمانا ولا يقينا. واذا بنازلة الموت واذا بنازلة الموت وبمشهد حصر الميت بين جدران الحفرة الاربع واهالة التراب عليه تحرك افئدتهم - 00:08:40
الميت وتهز عقولهم الكسول وتغسل عن نفوسهم الصدئة ما علق بها من رين وغبار فيغادرون المكان هم اشد ايمانا واعمق يقينا. هذا الموقف في الحقيقة يردك الى نفسك يردك الى صورتك الاولى - 00:09:00
يردك الى المعنى الواضح الجليل الحياة. انه يبعدك عن السفسطة التي يتناولها ويغرق فيها العدم والالحاد. انه لا يحرك فيك عاطفة ساذجة. وانما يثقل نفسك ترى الدنيا على حقيقتها وترى رغبة العقل الاكيدة الشديدة. في استخراج معنى معقول من هذه الحياة - 00:09:20
المادية التي لا بد ان يكون لها معنى اكبر من طاقة سابحة ومادة عابثة. وفرق واي فرق بين انسان مؤمن يرجع من المقبرة وهو يحمل املا كبيرا وبين انسان ملحد يخنقه المشرق - 00:09:50
المحزن ويزيده كآبة وضياعا. ثم ماذا عن العدل الالهي عن العدل النهائي لقد اغتيل اربعة من الابرياء اب وام وطفلان وليس بمستبعد ان يفلت القتلة من طائلة القصاص وما قيمة الحياة؟ وما قيمة الانسان نفسه؟ لو ترك مصيره هكذا معلقا على عدل ارضي لا يملك - 00:10:10
في معظم الاحيان الاداة المضمونة لتحقيق لتحققه ونفاذه. ان الاسلام ذلك الدين القيم يمنحنا الجواب في الحالتين ولو لم يكن الدين سوى هذا الجواب لكان في ذلك وحده الدافع الاكبر الالتزامه - 00:10:40
معايشته وتعشقه والتشبث به حتى اخر لحظة من حياتنا التي يعلمنا الايمان انها لن تنقطع ولن تزول ولن يضيع حق من حقوقها

بالصدفة او العبث او الفوضى. ان ايمانك يحمل معنى عظيم لو تجاوزنا كل معاني الايمان كل دلالاته الكبرى كل الحكم التي يؤول اليها كل - 00:11:00

المنافع التي نجتنيه منها لو كان الايمان فقط يعني ان يعطيك معنى لهذه الحياة. معنى لا يرتاح له قلبك وترتاح له لكان حريا بكل انسان ان يتشبث بهذا الدين وان يتعشقه ويلتزمه لانه - 00:11:30

يخرج هذا الوجود من اللا معنى الى المعنى الذي يرضاه العاقل. جربوا بانفسكم ذلك صدقه ليس في بيوتكم ونواديكم ولكن في المقابر لحظة مواراة جثة صديق او قريب التفت اليها بعد دقائق من - 00:11:50

مغادرتكم المكان وحيدة مهملة منقطعة في الصحراء. امن الممكن ان تكون هذه هي نهاية وانا اعلق هنا واقول هذه التجربة لا تحمل فقط نداء من الفطرة. انها ايضا تعبير عن مجموع - 00:12:10

المنطبعة في الذات والتي من اهمها ان الامر العظيم الهائل لا يتمخض عن عدم. جربوا بانفسكم جربوا بانفسكم ان تعيشوا هذه اللحظات بقلوب منفتحة وعقول منفتحة عيشوا لحظة الموت موت - 00:12:30

مظلوم في هذا الكون الهائل المعقد الجميل المبدع. جربوا بانفسكم هذه اللحظة لا تجربوها وراء المكان لا تجربوها وانتم سائرون في في الملاهي. جربوها وانتم في المقابر. عيشوا اللحظة وستهزكم اللحظة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته - 00:12:50